كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها اعين الناس فالمراد بالاتيان مثاله لما سمع بعض
القوم قول ابراهيم وتالله لاكيدن اصنامكم وسمعوا انتبه لانهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك
فلذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذى يظن انه الذى فعل
فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبال واشراف قومه فقالوا بينهم فاتوا به على اعين الناس لعلهم
يرشدون عليه انه الذى فعلوا قيل كرهوا ان يا خذوه بغير بينة وقيل ليسوا له من الشهادة بل هو من
المشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه قوله حين احضروه اشارة الى ان
فى الكلام حذفا والتقدير فاتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له انت فعلت
هذا او فى قوله ءانت وجهان الاول انه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر بعده والتقدير افعلت هذا
بالهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لا محل للفعل الملفوظ لانه مفسر والثانى انه مبتداء
والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو ان اداة الاستفهام
اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع ام لا لا انه يشك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لا يكون
الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون مشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة
الاستفهام والشك فى انه هل هو الفاعل ام غيره فاذا قلت اقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت ازيد قام
وجعلته مبتدا كان الشك فى ان الفعل صدر منه او من غيره والوجه الاول هو المختار عند النحويين
لان الفعل تقدم ما يطلبه وهو اداة الاستفهام قوله اسند الفعل اليه جواب عما يقال كيف اسند
الفعل الى كبيرهم وانه كذب لا يليق بالنبى المعصوم فاجاب عنه اولا بان اسناد الفعل اليه من قبيل
اسناده الى السبب الحامل فانه عليه السلام لما راى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون وراى
على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه
فحمله ذلك البغض على ما فعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر للفعل الا
انه ابقى الكبير مع السبب الحامل مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها ليورد عليهم
هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه السلام
لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير انه نسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه
واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن
هو العاجز منهما استهزاء او بالعاجز واثباته للقادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا
وانت شهير بحسن الخط وهو امى لا يحسن الخط وهو لا يقدر الا على الخربشة الفاسدة فانك قصدك
بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزاء بالامى لا لنفيه عنك واثباته للامى وثالثا بانه لم يسند
الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال لهم تنكرون ان يفعله كبيرهم
فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ما هو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ما حكى انه
قال لهم فعله كبيرهم بناء على انه غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منه لجنة واشرف جوهرا

جوهرا فانه لا وجه لهذا القول بان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم من مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل
الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق
قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسئلوهم اعتراض بين
الشرط والجزاء وهذا الجواب متضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المص بحمل جوابه عليه
السلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفة لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انما يلزم على تقدير ان يكون
الفعل مسندا الى كبيرهم ولا نسلم ذلك ثم لا يجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى وابراهيم ولما ظهر بهذه
الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ان يقال فكيف اثبت نبينا ابراهيم ثلاث كذبات وعد قوله
انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله بسارة هى اختى فاجاب المص عنه بانه سماها كذبات تشبيها لها
بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولما قال ابراهيم لهم ما اراد الحجة عليهم فاسئلوهم ان كانوا ينطقون
رجعوا الى انفسهم اى تفكروا بعقولهم ورجعوا الى عقولهم فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال
تسئلون هذا الرجل والهتكم حضور فاتركوا مسئلته واسئلوا الهتكم التى تحضر تكم قرا الجمهور نكسوا مبنيا
للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى ناكسين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل
المذكور قبله والنكس والتنكيس لغتان بمعنى وهو قلب الشئ بجعل آخره على اوله وقرئ نكسوا بالتشديد
وليس التشديد فيه للتعدية ولا للتكثير بل هو لغة بمعنى المخفف وقرئ نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون
اجرى الله الحق على السنتهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم
شبه انقلابهم الى الكفر والمجادلة بالباطل بعد اذعان الحق بصيرورة اسفل الشئ منقلبا الى اعلاه
فعبر عنه بالتنكيس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم نكسوا على رؤسهم حقيقة
بفرط اطراقهم خجلا وانكسارا مما بهتهم به ابراهيم فما اجابوا الا بما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب
قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرهم بسؤالهم فاقروا بهذه
الحيرة التى لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك
القول المضمر حال من مرفوع نكسوا او نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قيل فى كيفية
القصة انه لما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك
قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان المراة لو مرضت
قالت ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المراة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتلقيه
فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له اصلاب الحطب من اصناف الخشب على ظاهره الدواب
اربعين يوما ثم اوقدوها حتى اشتعلت النار وصار الهواء نارا بحيث لو مر الطير فى اقصى الجو لاحترق
من شدة وهجها ودهشوا انهم لو يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تاتى القرب منها فجاء ابليس وعلمهم عمل المنجنيق
فعملوه وقيل صنع لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلل
فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم فوضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السموات والارض

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)